جوائز الشعراء

انتقاد

لو جئنا نقابل حالة الشعراء في عصر الامويين والعباسيين بحالة شعراء هذا الزمان لوجدنا داعياً كبيراً للعجب ومتطرَّقاً فسيحاً للشكوك والريب وانتقدنا على المؤرخين الذين نقلوا الينا شؤون اولئك ووفرة جوائزهم واتهمناهم بحب المغالاة وعدم التثبُّت في تحرير الاخبار ونقل الحكايات. وقد وقع مثل هذا لصديقي الفاضل خليل افندي ثابت في ما كتبهُ تحت عنوان "مدائح الشعراء وعطايا الامراء" في جزء دسمبر من المقتطف الاغر. فانهُ اتى بتلك المنقولات ووضعها تحت محكّ التنظير ثم رازها بنظر المقابلة فتعامى عليهِ تصديقها وأبت لديهِ الاَّ نبوًّا عن حوزة الاحتمال. على انهُ لا يسوغ لنا ان نُسقط النقل الاَّ اذا تعارض مع العقل بصورةٍ يتعذر فيها التأويل وعندي (ان كان لي عندٌ) ان النقول التي انتهت الينا عن جوائز الشعراء ليست بعيدةً عن القبول ولا مترامية عن حيز الامكان. واليك ما اجيءُ بهِ ذائداً عن استقامة النقلة ورامياً من وراء حرمة المؤرخين الاَّ قليلاً

(١) لكلّ زمان دولة. انك لتأخذك الدهشة والعجب ويذهب بك الاستغراب كل مذهب عند ما تقرأ عن عُمَر بن الخطاب وهو يلتحف ببرقعتهِ البالية ويستتر ببرقع الظلام ويخرج طائفاً في احياء المدينة ليعثر على امرأةٍ مُعدمة وصبيتها حولها يضورون جوعاً فيذهب الى انبار الدقيق ويحمل منهُ على ظهرهِ عدلاً يأتيها بهِ ثم يكل اليها امر عجنهِ واصلاحهِ ويجلس يوقد النار حانياً عليها والدخان ينبعث من خلال لحيتهِ ولا ينصرف عنها الاَّ وقد شبع صبيتها وهجعوا. يفعل هذا في الليل وهو في النهار يعقد الالوية لامراء يحملون بجنودهِ على ايوان كسرى فيزعزعون اركانهُ. ويكرُّون على قيصر في معاقلهِ فيفعمون عمرانهُ. على حين لم تكن تنتهي اليهِ الاَّ اخبار النصر المبين وبشائر الفتح العزيز

وانت لو نظَّرت حالهُ هذه بما عليهِ ملوك هذا الزمان من الاثرة والانفة وكثرة الحجّاب على الابواب مع ما يظهرون فيهِ من عظمة الملك وهيبة السلطان وهم دون مبلغهِ عزَّةً وبأساً لما شككت في ان لكلّ زمان دولة وان الاحكام تتبدَّل بتبدل الازمان

كذلك لو رأيت اليوم رجلاً مرفقاً لهُ في المعاش بارزاً في بزَّةٍ حسنةٍ ومحفوفاً بانفس الاثاث والرياش ثمَّ سألت عن حالهِ وصناعتهِ فقيل لك انهُ شاعر لما رضيت لهُ بكُنههِ هذه المنزلة ولا صدَّقت ان الشعر يُتخذُ باباً للكسب وحرفةً للارتزاق. على انهُ كان في العصور

المتراخية مرتزقاً ليناً ومورداً سائغاً يأتيهِ كلٌّ من تمزّى بحسن البيان وفصاحة اللسان و يصدر عنهُ منعم الاردان باعطيات الامراء والاعيان

وبينا نرى شعراء هذا الزمان يربأون بانفسهم عن التزلف الى الاغنياء بمدائحهم نرى شعراء امس يجتمعون في ابواب الملوك وارباب الثروة يستأذنون بالدخول عليهم ليعرضوا ما جادت بهِ قرائحهم من المدائح و يلتمسوا الصلات التي عليها معوّلهم في العيش وبها يستقيم أودهم في سبيل الاجتراح

(٣) سخاء العرب. وقد كان لهم في هذه الخلة المنزلة التي لا تُطال وبلغوا بها الشأو الذي لا يُدرك حتى اصبحت محلّ فخرهم ومظهر مباهاتهم . اوغلوا فيها حتى لم يدعوا لسائر المحامد في جنبها مستقرًّا رحيباً فزينوا بذكرها اشعارهم وعطروا باسمائها انديتهم وصارت عندهم مَحيَا المآثر وواسطة عقد المفاخر . ولا آخذ على نفسي الآن إفراد حوادثهم في الكرم طُرفةً طرفة فان ذلك لما تضيق بهِ المجلدات الضخمة واسنا بحاجةٍ اليهِ مع كثرة ورودهِ في اساطيرهم. فقد كان فيهم من يمسي على إتراب و يصبح على متربة تراهُ اليوم ذا ثروةٍ طائلة وخزائن مفعمة بالمال ثم غداً تلقاهُ فارغ الجيب صفر اليدين يلتمس لنفسهِ ولعيالهِ قوتاً . فكم مسَ وجرذان بيتهِ تمشي على التراب اصبح وهي لثب وثوب الاسود وكم كريمٍ اثرى تارةً واملق أُخرى فتعاقبت عليهِ الحالتان في حياتهِ عشراتٍ من المرات وجملة اخبارهم في هذا الصدد تدلنا على ان مكانتهم في الندى لا يساورهم فيها احد ولا ينكر عليهم علوّ كعبهم في البذل الاّ من كابر وعَنَد .

وكافي بمعترض يقول ان حكاياتهم في الكرم لا يركن اليها اذ هي اقاصيص موضوعة ليس فيها من الصدق الاّ كالنواة من الشجر . غالى في نقلها الراوون او لفقها المولعون باذهاش الناس واربا كهم بالخوارق والغرائب كما هي فطرة المتكلم ان يتهلّل عند ما يرى سامعهُ حيران ذاهلاً فيحتال ليجعل حديثهُ فوق ما عرفهُ الناس بحسوساتهم ليتّسق لهُ استفزاز عقولهم ووضعها موضع التعجب والارتباك

اقول هذا كلام وجيهٌ لولا ما فيهِ من المغامز فلو كان حب المغالاة بعث رواة العرب الى وضع ما نقلوا او الى الزيادة فيهِ لحد المسخ والتشويه لكان يبعث غيرهم من رواة الامم الى مثلهِ او الى ما يقاربهُ . ولدينا اخبار كثير من شعوب الارض في فجر حضارتهم وبعد ان استبحر عمرانهم فنكاد لا نجد شيئاً من هذا القبيل. ولا سبق لمفتخري غيرهم ان اكثروا من ذكر السخاء والبذل ولا لمادح غير ناطق بالضاد ان جعل بسط الكف مداراً للمدح والاطراء . وقد اخبرني بعضهم انهُ يوجد في اساطير الفرس شيء من هذا القبيل الاّ انهُ قليل بجنب ما للعرب فيهِ

الكرم من خلال البداوة في كل امة وبلاد وبما ان العرب انتقلوا من البداوة الى الحضارة المرتقية انتقالاً فجائياً بقيت فيهم بقية من تلك الصفة وظهرت اكثر مما ظهرت في غيرهم من امم الارض . وكلما ارتقى التمدن تثبت مبدأ الاستقلال في النفوس وعرف الخلق ان ليس للانسان الاَّ ما سعى واهُ لا تزر وازرة وزرَ اخرى. وبالمدنية تتعين الاجور على قدر الاعمال ولا تساق الثروة لاحدٍ الاَّ بعد العناء والنصب. وفوق ذلك ان العرب ايام دولتهم لم يتجشموا كبير عناء في تحصيل المال ولا تكلفوا المشاقَّ في اجتدائهِ واحتشادهِ فقد كانت تأتيهم الجزى من ابعد المطارح وتحمل اليهم اتاوات الملوك الاعزَّة فيستولون عليها مغنماً بارداً

ومن اخذ البلاد بغير حربٍ يهون عليهِ تسليم البلادِ

فلا استغراب اذا رأيناهم يهبونها بعضهم بعضاً ويرخصونها في سبيل احياء الذكر وتخليد الاثر لا سيما بذلهم اياها في اثابة الشعراء وهي كانت من اسمى مراميهم واكفل الوجوه لنيل ما يتشوَّفون اليهِ من بعد الصيت . ونظرٌ غير طويل يكشف لنا ان الغنى في بيوتهم لم يكن ليبقى طويلاً في الاعقاب بل كانت الثروة سريعة التنقل من واحدٍ الى آخر وهذا غير ما نراهُ اليوم وقد انتشر بيننا مبدأ الاقتصاد وغير ما نعرفهُ عن بيوت الشرف في اوروبا التي في بعضها ثبت الإثراء في الاعقاب بضعة قرون ومنهم من لا يزال يتقلَّب في العيش الخُضال منذ انبلاج فجر تمدنهم الى يومنا هذا. وقد كان العرب يتخزون بتبديد الثروة وتحقير المال و يسمون ذلك كرماً يماجدون بهِ و يشارفون اما نحن اليوم فنسميهِ بعرف الاقتصاد تبذيراً وسوء قيام على ما في الحوزة. وللماوردي في السخاء كلامٌ جليل اثبتهُ في كتاب ادب الدنيا والدين لا بأس من مراجعتهِ هناك

(٣) رهبتهم من الشعراء . كانوا يرهبونهم ويحذرون جانبهم خوفاً من هجائهم وتقبيح الاحدوثة منهم فقد كان الشعراء لسان الامة تسير ابيات القدح والفضيحة منهم مسير الظلام و يتناشدها الاقوام في سمرهم فتحط كثيراً من قدر المغار عليهِ في نفوس الناس . وما كان اسرع الشعراء الى تشويه وجه الجميل بكل قافيةٍ شرود وما احسن شعر الحماسة بهذا المعنى

اذا انت أُعطيت الغنى ثمَّ لم تجُدْ بفضل الغنى أُلفيت مالك حامدُ
وجُملتَ عاراً لا يزالُ يشبُّهُ سباب الرجال نثرهم والقصائدُ
وقلَّ غناءً عنك مالٌ جمعتهُ اذا صار ميراثاً وورَّاك لاحدُ

وعندما وفدت ليلى الاخيلية على الحجَّاج امر احد غلمانهِ أَنِ اذهب بها واقطع لسانها يريد صلتها ولما هجا المتنبي ضبَّةَ رجع خال المهجوّ فاتك الاسدي على ابن اختهِ باللوم وقال لهُ كان يجب ان لا تجعل عليك للشاعرِ سبيلاً

وحينما استخلف عمر بن عبد العزيز وفد عليهِ الشعراء فدخل اليهِ عدي بن ارطاة وقال يا امير المؤمنين الشعراء ببابك وسهامهم مسمومة واقوالهم نافذة . فقال عمر ويحك يا عدي ما لي وللشعراء . قال عدي اصلح الله الامير ان رسول الله قد امتُدح واعطى ولك بالرسول اسوة حسنة . قال عمر وكيف كان ذلك. قال امتدحهُ العباس بن مرداس السلمي فاعطاهُ حلة فقطع بها لسانهُ. فاذن عمر لجرير فدخل عليهِ ومدحهُ ولم يكن لدى الخليفة سوى مئة درهم فاعطاهُ اياها

ومثلها ما نقلهُ الحريري ان عروة الشاعر وفد على هشام بن عبد الملك فقال لهُ هشام ألست القائل

لقد علمتُ وما الاسراف من خلقي ان الذي هو رزقي سوف يأتيني
اسعى لهُ فيعنّيني تطلُّبهُ ولو قعدت اتاني لا يعنّيني

واراك قد جئت من الحجاز الى الشام في طلب الرزق . فقال عروة يا امير المؤمنين زادك الله بسطة في العلم والجسم ولاردّ وافدك خائبًا لقد بالغتَ في الوعظ واذكرتني ما انسانيهِ الدهر. قال هذا وخرج الى راحلتهِ فركبها وتوجه من فورهِ قافلاً الى الحجاز . فلما كان الليل ذكرهُ هشام وهو على فراشهِ وقال انهُ شاعرٌ ولا آمن ما يقول فلما اصبح اتبعهُ برسول يحمل اليهِ ألفي دينار فاخذها وقال للرسول ابلغ امير المؤمنين اني سعيت فاكديت ورجعت الى بيتي فاتاني رزقي . وقد قال بعض المحدثين

لعمرك انما الشعراء قوم جديرٌ ان يهابوا في العباد
وليس لمن يعاديهم مفرٌّ ألستَ تراهمُ في كلّ وادٍ

(٤) رغبتهم في المدح . لا اعلم ما هي الاسباب التي افضت بالعرب الى التهالك على حب المدح والاطراء حتى ان واحدهم كان يتقاضى الناس مدحهُ كانهُ حق من جملة حقوقهِ المقرَّرة عليهم واذا ذكرهُ المادح بما فيهِ فقط نقم عليهِ اعتداله وحسبهُ باخسًا اياهُ اشياءهُ . نعم ان حب المدح شيمة من شيم النفوس الاَّ ان المبالغة الظاهر كذبها اجرى بان تحمل على محمل التمويه والاستهزاء منها على محمل المدح والتجلة

حكى ابن خلكان قال اجتمع الشعراء في مجلس المستعين فقال لهم لست اقبل الاَّ ممن يقول فيَّ مثل قول البحتري في المتوكل

لو انَّ مشتاقًا يكلف فوق ما في وسعهِ لسعى اليك المنبرُ

فقال احمد بن عيسى هاك ما اقول وانشد

ولو ان بُردَ المصطفى اذ لبستهُ يَظَنُّ لظنَّ البُردُ أنك صاحبهُ

وقال — وقد أُعطيتهُ ولبستهُ نعم هذه اعطافهُ ومناكبهُ

فقال لهُ المستعين هذه سبعة آلاف دينار اذخرها للحوادث من بعدي ولك الجراية والكفاية ما دمتُ حيًّا . ونقلوا ان النفور الذي استحكم بين الصاحب ابن عباد والمتنبي نشأ عن ان ابا الطيب ضنَّ بشعرهِ عن مدح الصاحب فاستاء هذا منهُ واخذ يترصد هفواتهِ ويطعن على مواضع الضعف من ابياتهِ . وكان سيف الدولة كثير الاهتزاز بالشعر الجيد المقول فيهِ فاستعاد ابا الطيب قصيدتهُ التي مطلعها " على قدر اهل العزم تأتي العزائم " عشراتٍ من المرَّات على ما فيها من المبالغة والمغالاة . وحكى الثعالبي ان الصاحب مُدح مرَّة بقصيدة فكان مقبلاً على الشاعر بجامعهِ حسن الاصغاء الى انشادهِ مستعيدًا اكثر ابياتهِ مظهرًا من السرور والاهتزاز شيئًا كثيرًا حتى زحف عن دستهِ طربًا . وقد كانوا يحسبون المدح خيرًا من الذهب والثناء الطيب اغلى من الجواهر وصلة الشعراء المادحين فريضة واجبة . من ذلك انهُ وفد اعرابيٌّ على امير المؤمنين عليّ بن ابي طالب وقال ان لي اليك حاجة يمنعني الحياء من ذكرها فقال عليٌّ خطها في الارض فكتب " اني فقير " فقال عليٌّ يا قنبر اكسهُ حلتي فقال الاعرابي

كسوتني حلةً تبلى محاسنها فسوف اكسوك من حسن الثنا حللا
ان الثناء ليحيي ذكر صاحبهِ كالغيث يحيي نداهُ السهلَ والجبلا
لا تزهدِ الدهرَ في عُرفٍ بدأت بهِ كلُّ امرئٍ سوف يُجزى بالذي فعلا

فقال يا قنبر زدهُ مئة دينار فقال يا امير المؤمنين لو فرَّقتها في المسلمين لاصلحت من شأنهم فقال علي صه يا قنبر فاني سمعت رسول الله يقول اشكروا لمن اثنى عليكم . وقال الحسن يومًا لعبد الله بن جعفر انك قد اسرفت في بذل المال فقال ان الله عزَّ وجلَّ عودني ان يتفضَّل عليَّ وعودتهُ ان اتفضل على عبادهِ فاخاف ان اقطع العادة فيقطع عني فضلهُ . وامتدحهُ نُصيب يومًا فامر لهُ بخيل واثاث ودنانير فقال لهُ رجل اتعطي مثل هذا الاسود كلَّ هذا المال فقال ان كان اسود فان ثناءهُ ابيض ولقد استحقَّ بما قال اكثر مما نال وهل اعطيناهُ الاَّ ثيابًا تبلى ومالاً يفنى اما هو فقد اعطانا مديحًا يبقى وثناء يُروى . اما في هذا الزمان فيليق بنا ان نتمثل بقول ابن الرومي

ذهب الذين تهزُّهم مدَّاحهم هزَّ الكماة عوالي المرَّان

وليس ذلك فقط بل ربما انتُقض على الشاعر المادح بالاستهزاء والامتهان فعاد وهو يرضى من الغنيمة بالاياب

(٥) شرود القوافي . وهذا ايضًا كان داعيًا لإعناب الشعراء اذا عنوا وقاضيًا

باسترضائهم اذا غضبوا . فلم تكن الابيات الجيّدة تسقط من فم الشاعر حتى تخطفها الآذان وتحويها الاذهان فتدور على الالسنة ويتناقلها الحداة والركبان ويطير بها ذكر الممدوح في الآفاق حتى يعرفهُ من جهلهُ مكتسياً بما جلّلهُ بهِ الشاعر من الصفات الباهرة والمآثر الزاهرة . قال عليّ بن الجهم في المتوكّل

ولكنّ احسانَ الخليفة جعفرٍ دعاني الى ما قلت فيهِ من الشعرِ
فسار مسير الشمس في كل بلدةٍ وهبَّ هبوب الريح في البرّ والبحرِ

ومثلهُ قول المتنبي في سيف الدولة

ولي فيك ما لم يقل قائلٌ وما لم يَسِرْ قمرٌ حيث سارا
وعندي لك الشرّد السائرا تُ لا يخلصنَ من الارض دارا
اذا سِرنَ من مقولٍ مرّةً وثبنَ الجبالَ وخُضنَ البحارا

واخلق بمن كانت هذه منزلة اشعارهم ان تدرَّ عليهم صلات الامراء وتساق اليهم جوائز الكبراء الطامعين بالصيت البعيد الراسخ والراغبين في تشييد الشرف الباذخ

وقد كان للادب سوقٌ ينفق فيها رخيصهُ فضلاً عن غاليهِ اذ لم تكن الهمم مصروفةً الى شيء من علوم اليوم . واليك ما فعلهُ هشام اذ كتب الى عاملهِ في العراق ان ادفع الى حماد الراوية خمس مئة دينار وحملاً مهريًّا وسيّر معهُ من يوصلهُ اليَّ في اثنتي عشرة ليلة فلما وصل حماد الى الشام وسلم على امير المؤمنين قال لهُ أتدري فيمَ بعثتُ اليك اجاب لا قال بعثت اليك بسبب بيتٍ خطر ببالي لا اعرف قائلهُ قال حماد وما هو قال

ودعوا للصبوح يومًا فجاءت قينةٌ في يمينها ابريقُ

فاخبرهُ حماد بصاحبهِ وانشدهُ باقي القصيدة فاجازهُ وردّهُ الى العراق

اما القول بان الرواة التقطوا الوقائع الجزئية وبالغوا في تقدير جوائزها ترغيباً باجازة الشعراء وتشويقًا لاستدراج الحمد والثناء فهو غير عارٍ عن الشبهة لانهم في تقرلهم اوردوا الغثَّ والسمين وجاؤوا بذكر الجواد والضنين فلم يأتوا من نقل الخبر عن الجوائز الصغيرة ولا اغفلوا ذكر الشعراء الذين لم يوصلوا بشعرهم . وهذه الاعطيات البالغة والصلات الفاحشة ليست كثيرة في اساطير العرب بالنسبة الى المدّة المستغرقة وعدد الامراء المنسوبة اليهم . انما نحن نراها مدوَّنةً في كتابٍ واحد ونقرأ عشراتٍ منها في ساعة واحدة فنزعم انها جرت متوالية بدون فترات بينها . مع انهُ لم ينقل عن ملك واحد او عن امير واحد بذل مثل هذه الصلات الكبيرة اكثر من بضع مراتٍ في حياتهِ بينا نرى الفريق الاكبر من الممدوحين أغفل ذكرهم في هذا الباب

وما ذلك الاَّ لانهم لم يأتوا فيهِ شيئًا يذكر

ويظهر عدم استنكاف الرواة من نقل اخبار المقتصدين انهم دوَّنوا كثيرًا من الحوادث التي طوى الشاعر فيها المسافات وعاد يخفِّي حنين . من ذلك حادثة ابن زريق البغدادي المشهورة ومنها ان المنصور الملقب بالدوانقي لقيهُ رجل في طريق الحج يحدو لهُ طامعًا بصلتهِ فحدا كثيرًا الى ان قال

اغرُّ بين الحاجبين نورهُ يزينهُ حياؤهُ وخيرهُ
ومسكهُ يشوبهُ كافورهُ اذا تغدَّى رُفعت ستورهُ

فطرب المنصور حتى ضرب برجلهِ المحمل ثم قال يا ربيع اعطهِ نصف درهم فقال الحادي نصف درهم يا امير المؤمنين والله لقد حدوت لهشام فامر لي بثلثين الف درهم فقال المنصور تأخذ من بيت مال المسلمين ثلثين الف درهم يا ربيع وكِّل بهِ من يستخلص منهُ هذا المال. وقال المتنبي يومًا لرجلٍ مدحهُ كم املت منا على مدحك قال عشرة دنانير فقال لهُ والله لو ندفت قطن الارض بقوس السماء على جباه الملائكة لما اعطيتك دانقًا واحدًا . وعندما مدح المتنبي عليَّ ابن منصور الحاجب بقصيدتهِ التي اولها " بابي الشموس الجانحات غواربا " لم يعطهِ عليها الاَّ دينارًا واحدًا ولذلك لُقِّبَ بالدينارية . وكان احد الخلفاء اذا جاءهُ مادحٌ يكل بهِ بعد الانشاد من يأخذهُ الى المسجد ليصلي مئة ركعة او اكثر حتى قال لهُ بعضهم من ابيات

فانعم لي بكسر الصاد منها فتصبح والصَّلاة هي الصِّلاتُ

ثم ان من اختار السخاء منهم كان عليهِ ان يقتفي خطوات سابقيهِ ويستنَّ بسنتهم فيبلغ درجتهم في الكرم او يزيد عليها ولو فرضنا ان اساطير اسلافهم موضوعة او مبالغ فيها فلا يسع المتحدِّي الاَّ العمل بها على ظاهرها وكما انتهت اليهِ والاَّ فيصبح تحدِّيهِ تمويهًا وهذا مما لا يسلمهُ العقل وان تكرُّر اعطاء القليل والجهر بالكثير لايمتدُّ بهِ الامر حتى يفتضح و يصير حكم هذه الاعطيات واخبارها حكم " الشوبشة " التي اشار اليها حضرة الكاتب خليل افندي لا ينقلها احدٌ ولا ينظر اليها الاَّ بعين الازدراء

ومن امثلة التحدِّي طرفة كافي الكفاة الصاحب بن عباد وقد دخل عليهِ شاعر يقول من قصيدة

كسوتَ المقيمين والزائرين كسًى لم يخلّ مثلها ممكنا
وحاشية الدار يمشون في ضروبٍ من الخزّ الاَّ انا

فقال الصاحب قرأت في اخبار معن بن زائدة ان رجلاً قال لهُ احملني ايها الامير فامر لهُ بفرس وناقة وبغل وحمار وجارية ثم قال لهُ لو علمت ان الله تعالى خلق مركوبًا غير هذه

لحملتك عليه وها نحن قد امرنا لك من الخزّ بجبة وقميص ودراعة وعمامة ومنديل ومطرف ورداء وجورب ولو علمنا لباساً آخر يتخذ من الخزّ لاعطيناكه . هذا ولم يكن الواهبون وتجيزو الشعراء الاّ من الملوك والامراء وهبات الملوك ملوك الهبات ولا نكبرها عليهم ونحن نرى اليوم اصحاب الثروة في اوروبا يهبون الوف الجنيهات لدور العلم والاختراع او لفائدة الصناعة او للاحسان الى الفقراء وكانت اثابة الشعراء في عيونهم اجلّ من الهبات العلمية في عيون الاوروبيين . نعم ان غاية هؤلاء اسمى ومطلبهم اشرف مما رمى اليه اولئك انما لكل زمان دولة . وان قلنا لماذا كان الشعراء في بعض الاحايين في ضيق من معاشهم مع غزارة مرتزقهم نجيب ان الشعراء ايضاً كانوا اسخياء ومبذرين يُوصلون و يصلون ومن كان منهم ممسكاً مثل المتنبي وابي العتاهية مات عن ثروة وافرة .

اما الفكاهة التي ختم بها جناب الكاتب مقالتهُ بخصوص وزير العجم فعندنا في اساطير العرب ما يكون واياها على طرفي نقيض وذلك ان سيف الدولة ضرب دنانير سماها دنانير الصلات في الواحد منها عشرة مثاقيل ذهب اي ان واحدها يساوي الف غرش تقريباً نقش اسمهُ وصورتهُ على وجهيها وكان يصل الشعراء منها وفيها يقول ابو الفرج

ابدع من هذه الدنانير لم يجرِ قديماً بخاطر الكرمِ
فقد غدت باسمهِ وصورتهِ في دهرنا عوذةً من العدمِ

وقد سمعت ان الموسيو مورتز الالماني مدير المكتبة الخديوية اثناء سياحتهِ بالخريف الماضي في سوريا عثر على واحدٍ من هذه الدنانير فاذا بهِ كما ذكرهُ المؤرخون

ولا ينكر ان قبض الصلات ايام فساد القيمين على المال كان اصعب من نطق الامير بها وربما أمر الممدوح لشاعرٍ بصلة ثم لم يُدفع لهُ منها الاّ القليل وما ذلك لان الامير يرجع عما وهب بل لان وكلاء المال يمنعون الشاعر حقهُ فلا يفون بامر الممدوح ومثل هذا كثير الوقوع في هذه الايام عند بعض الملوك مما نسمع بهِ كلّ يوم . ولعلّ معناً تخوّف مطالهم فقال اجعلها عاجلة يا امير المؤمنين ومن ذلك خاف جرير عند ما قال لعمر بن عبد العزيز

اني لارجو منك نفعاً عاجلاً والنفس مولعةٌ بحبّ العاجل

ولا باس برأي الكاتب الفاضل خليل افندي اذا كان معتدلاً فينبذ بموجبهِ ما كان من هذه الاقاصيص نائياً عن العقل وبعيداً عن الامكان وهو القليل النادر

فارس الخوري